منهج البحث في الوسط الجامعي

قراءة في مناهج البحث

أ. حمزة حمادة

جامعة الوادي

ملخص:

بعد تجربة متواضعة في التدريس الجامعي، تفاجأتُ بمنهجية البحوث التي يقدّمها الطلبة في المقاييس التي تُدرس، ولاحظت أنّ كثيرا من الطلبة يجهلون جهلا يكاد يكون تامّا منهجيّة البحث، فلا أثر للمنهج في تلك البحوث التي كانت تُقدّم، فهم لا ينتهجون النهج العلمي والتفكير السّليم اللّذين ينبغي أن يُتّبعا، وعذرهم كان دائما قلّة المراجع و البحوث في هذا المجال، وإن وُجدت المراجع، فمعظمها نظريٌّ لا يعتني بالتّطبيق وفي هذا المجال يأتي هذا المقال ليجيب عن بعض الأسئلة الخاصة بمنهجية البحث.

Résumé

En menant une expérience modeste dans l'enseignement universitaire, j'étais surpris par la méthodologie de recherche fournie par les étudiants dans les modules étudiés, j'ai constaté que la majorité des étudiants ignorent presque qu'est ce que le concept de la méthodologie de la recherche, ils n'ont pas de pensée rigoureuses ni d'approche scientifique dans leurs travaux d'exposés, tout cela sous prétexte que ces derniers souffrent d'un manque terrible de documentations et de références concernant les sujets à traiter et dans le cas échéant, ces documentation favorisent un accès théorique à l'information.

De là vient cet article pour répondre à quelques questions concernant la méthodologie de la recherche en particulier

تمهيد:

البحث العلميّ هَوَسٌ ينتاب الأستاذ الباحث، كما ينتاب الطالب المجتهد، يؤرّقهما **و يقُضّ مضجعهما طوال السّنة الدّراسية، أو طوال مسيرتها البحثية.**

فبعد تجربة متواضعة في التدريس الجامعي، تفاجأتُ بمنهجية البحوث التي يقدّمها الطلبة في المقاييس التي تُدرس، لاحظت أنّ كثيرا من الطلبة يجهلون جهلا يكاد يكون تامّا منهجيّة البحث، فلا أثر للمنهج في تلك البحوث التي كانت تُقدّم، فهم لا ينتهجون النهج العلمي والتفكير السّليم اللّذين ينبغي أن يُتّبعا، وعذرهم كان دائما قلّة المراجع و البحوث في هذا المجال، وإن وُجدت المراجع، فمعظمها نظريٌّ لا يعتني بالتّطبيق. ناهيك عن أنّ مقياس المنهجية محاضرة لا يهتمّ بها جلّ الطّلاب، بل وجدت أنّ أكثر ما يعوز الطالب ويشغله عند تحضير مذكرته للتخرج، هو أن يجد عنوانا يصلح للبحث، وتناولته دراسات كثيرة، حتى يسهل عليه العمل، ناسيا أو متناسيا أن البحث العلمي جهد ومشقة لا يخفف من وطأتهما إلا الصبر. ولا يتبادر إلى خلد الطالب حينها سؤال مهم وهو كيف سيتعامل مع هذا الموضوع؟ وما المنهج الذي سيسير وفقه؟ والطّريق الذي سيسلكه حتى يصل إلى النتائج المنتظرة؟ حتى وإن فكّر في هذه الأسئلة بعد اختياره للموضوع فإنّه سرعان ما يلجأ لأستاذه المشرف كي يضع له خطة مناسبة لموضوعه، وما خفي كان أعظم. . . ؟!!

معوقات البحث في الوسط الجامعي:

البحث العلمي سواء على مستوى بحوث التدرج أو ما بعد التدرجأو

، أو على مستوى البحث العلمي الأكاديمي، لا يزال ضعيفا في الوطن العربي بشكل خاص، وهناك كثير من الصعاب والمشاكل تقف عائقا دون تطوّره و وصوله إلى مستوى البحث في الدول الغربية أو حتى في بعض الدول العربيّة مثلا، ومن الصّعوبات التي تكتنف البحث على مستوى التدرج مثلا نجد:

الفروق الواضحة من جامعة إلى أخرى في ميكانيزمات وطرق البحث فكل جامعة لها أعرافها وتقاليدها.

عدم إيلاء بحوث التخرج التي يقدّمها الطّلبة في السنة الأخيرة من تدرّجهم في الجامعة الاهتمام الكبير، الذي يحسس الطالب بقيمة البحث الذي يقدمه، سواء على مستوى الطالب نفسه، أو على مستوى الأستاذ، فتقييم تلك المذكرات يحتاج إلى وقفة وإعادة نظر. ؟

بالرغم مما ترصده إدارة الجامعة للمكتبة الجامعيّة من مبالغ طائلة، إلا أنّ ما تحويه من عناوين يُعد قليلا، بالنظر إلى الأعداد الهائلة من الطلبة، وهذا يُعرقل مسيرة التكوين، كما يعرقل مسيرة البحث، فأنت تجد الطلبة يتزاحمون في المكتبة

ويقفون في طوابير من أجل الحصول على عنوان، والسّبب هو قلة أعداده في رفوف المكتبة.

أما العنصر الأهم وقد سبقت الإشارة إليه سابقا، فهو عدم الاطّلاع الكافي على مناهج البحث العلمي، لأن محاضرة واحدة في علم المنهج غير كافية.

أما على مستوى ما بعد التدرج فإن العوائق تتشابه تقريبا وإن كانت أقل حدّة.

كما أنّ البحث الأكاديمي على مستوى مؤسسات التعليم العالي، يكتنفه الكثير من العقبات و الصّعوبات التي تحد من أدائه لدوره المتوقع منه، ممّا أدّى إلى تأخر عملية التنمية في البلاد، وهي معيقات مادّية ومعنوية نختصرها في مايلي:

نلاحظ أن كثيرا من الهيئات الحكومية المشرفة على التعليم العالي، في بعض الدّول العربية لا تعي قيمة البحث العلمي، وبالتالي فهي لا تعمل على تمكينه وتيسير سبله، انطلاقا من رؤيتها له على أنّه ترف فكري، وبالتالي لا داعي لإضاعة المال والوقت، وتلكم مشكلة تنعكس على نقاط أخرى في إجراءات البحث العلمي.

و حتى وإن وجدنا حكومات تهتم بشكل أو بآخر بالبحث العلمي، نجد أن هناك نقصا في تمويل البحوث العلميّة، وعدم تخصيص الميزانيات الكافية لإجراء البحوث بالطرق المناسبة، وتذهب إحصاءات إلى أنّ ما يخصص للبحث العلمي لا يتجاوز2٪ من ميزانية الوزارات الوصيّة. أضف إلى ذلك كله، السرية الكبيرة و المبالغ فيها لبعض الأرقام والإحصائيات في بعض المجالات، في الوقت الذي يمكن الحصول على تلك المعلومات من جهات أجنبية.

كما توجد صعوبات ميدانية تواجه عملية البحث، وعدم تسهيل مهمة الباحث و الريبة فيه وفي أهدافه.

إعاقة دخول الباحث إلى بعض الإدارات إلي يتطلبها البحث كالسجون و الإصلاحيات والمستشفيات. . . . إلخ

عدم جدّية بعض البحوث إيثارا للسلامة، ما يتطلّب سن قوانين لحماية الباحثين.

تلك إذا بعض المشاكل التي تقف في طريق البحث العلمي في الجامعة الجزائرية خاصة ولعلها لا تختلف عما هو سائد في بعض جامعات الوطن العربي.

فكما يتطلب الاهتمام بالبحث العلمي رصد كل ما من شأنه السير به قدما، وتكثيف الجهود في شتى المجالات للرفع من مستواه ماديا ومعنويا، فإن الاهتمام

بالمنهج، وطرق البحث العلمي الجاد، أمر صار أكثر من ضروري، بالنظر إلى التحديات والقفزات العلمية العملاقة التي عرفها العالم في السنوات الأخيرة.

فالمنهج إذا، ضرورة أكيدة من ضرورات البحث العلمي والأدبي النّاجح، وعلى الرّغم من ندرة التأليف العربي في هذا المجال، إلاّ أننا لا نعدم في المكتبة العربية مجموعة من المؤلّفات الرّائدة اهتمّت بمجال مناهج البحث بشكل عام، ومناهج البحث الأدبي على وجه الخصوص، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:(مناهج البحث الأدبي) للدكتور "يوسف خليف"و(مناهج الدراسات الأدبيّة) للدكتور"شكري فيصل"، و(مناهج البحث الأدبي) للدكتور "علي جواد الطّاهر" و كتاب (البحث الأدبي، طبيعته – مناهجه - أصوله - مصادره) للدكتور " شوقي ضيف" و(مناهج البحث العلمي) للدكتور"عبد الرحمان بدوي". . وغيرها من المؤلفات، وهي أبحاث تظهر لنا متّفقة في الموضوع، إلا أنّها تختلف في بعض الجوانب الإجرائيّة، باختلاف الرّؤى ووجهات النظر، قدّمت لنا هذه الدراسات عصارة ما توصلت إليه البشرية في منهجية البحث، فأنارت لنا دهاليزه، وأماطت عن طريقنا عقباته ومطبّاته.

ولعل طبيعة هذا الموضوع تفرض علينا أولا أن نعرّف المنهج حتى نقف على مفهومه الدقيق.

أولا:تحديد مفاهيمي:

قال تعالى :(لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فتقول هذا منهجي أي طريقتي،

إن كلمة منهج حسب يوسف خليف « هي الترجمة العربيّة للكلمة الإنجليزيّة Methodsأو الكلمة الفرنسيّةMethode و كلتاهما مأخوذة من الأصل اليوناني Methodosالذي يتألف من مقطعين هما meta بمعنى بُعد و hodos بمعنى طريق، والذي يدل من النّاحية الاشتقاقيّة على معنى التزام الطّريق أو السّير تبعا لطريق محدّد وهي نفس الدّلالة الاشتقاقية التي تدل عليها الكلمة العربية (المنهج) فهي تدل على الطريق الواضح المحدّد »1 فمصطلحا (ميتا هودوس) اليوناني يعني (بُعدُ الطريق)، والبحث طريق قد يطول أو يقصر وبالتالي وجب على سالكه أن يتزود بما يُسهّل عليه سلوكه. وهذا ما يجب على الباحث فعله، فهو من البداية ينهج نهجا محدّدا واضحا أثناء بحثه، حتى تتضح له الرؤية ويصل إلى النتائج التي يطمح إليها.

ويرى "علي جواد الطّاهر" أنّ« المنهج La méthode = the method في أبسط تعريفاته و أشملها : طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة»2 أي المنهج طريق يوصل حتما إلى نهاية محدّدة. وكما هو ظاهر من خلال التعريفين السّابقين أن أوّل من استخدم هذه

الكلمة (منهج) هم اليونان، وكانت تعني عندهم و بخاصة عند أفلاطون وأرسطو« البحث أو النظر أو المعرفة»3، ولعل "أرسطو" « هو أوّل من استعمل كلمة (منهج) وأسّسه على دعامتين: الأولى منطقية، تبدأ بالمسلّمات، ثمّ تنتقل إلى طبقات الاستنتاج المنطقي الصّارم، لتنتهي بالنتائج. والثانية دعامة إجرائية تبدأ بالمشاهدة الدّقيقة ثمّ تنتقل إلى استنباط التعميمات، في سُلّم تتصاعد درجاته حتى تصل إلى المبادئ الأوّلية »4.

فالبحث يبدأ دائما بالملاحظة، منطلقا من المسلّمات التي لا تحتاج إلى برهنة، ومن ثمّ يبدأ في تعميق البحث، انطلاقا من فرضيات معيّنة مع تقديم معطيات حتى الوصول إلى نتائج دقيقة صارمة لا مجال فيها للخطأ، وإن وُجد فهو نسبيّ. « وضع أرسطو منطقه من أجل تحليل علم عصره تحليلا فلسفيا يستخرج به المبادئ العامة التي ينطوي عليها التفكير العلمي في ذلك العصر، ولاحظ أنّ هذا التفكير تفكيرٌ استنباطي في صورته، يبدأ بأقوال مُسلّم بها، ثمّ يمضي في استنباط النتائج التي تترتّب عليها»5. كانت تلك البدايات التأسيسيّة الأولى لمنهج البحث و التي وضع لبناتها الأولى "أرسطو"« وظلّ أرسطو طوال العصور الوسطى"المعلّم الأوّل" الذي لا يُنازع منزلتَه معلّمٌ آخر، وظلّت آراؤهُ تُحيطُ بها هالاتٌ من التقديس، لا يُفكّر في مناقشتها»6. ظلّ الأمر كذلك حينا من الدّهر، لكن وبالرغم من كل ما قدّمه أرسطو وأصحابه للمنهج، فقد وُجّهت انتقادات كثيرة لأصحاب المنهج الأرسطي، صحيح أنّهم«أساتذة أجلاّء جديرين بالاحترام، ابيضت رؤوسُهم ولكن دون أن تنضج عقولهم، فيمَ أشبه شيء بالأجهزة الآلية التي أُعدّت لتكرار صدى دروس العصر القديم، ومن هنا ظلّوا سجناء للقياس الأرسطي الذي يستخدم في عرض المعلومات التي سبق اكتسابها لا في الوصول إلى حقائق جديدة»7 ثمّ أخذ منهج البحث في التقدّم والتّطوّر، بتقدم الفكر الإنساني، وبروز فلاسفة وعلماء في شتى مجالات المعرفة، فتعدّدت المناهج بتعدّد العلوم، فبُدِأ التفكير في علم مناهج البحث وبشكل أكثر وضوحا« وأخذ المناطقة يعنون بمسألة المنهج من حيث هي قسم من أقسام المنطق، وكانت أوّل محاولة واضحة في هذا السبيل، مع بداية عصر النّهضة في القرن السادس عشر عندما قام راموس(1515-1572) بمحاولة لتقسيم المنطق إلى أربعة أقسام، التّصوّر و الحكم و البرهان والمنهج »8 لكن النقلة العملاقة والحاسمة من أجل تكوين منهج أكثر دقة ومنطقية كانت في القرن السابع عشر، حيث يُعدّ هذا العصر« من العصور المهمّة في تاريخ الكلمة، ويكفي أن يذكر الباحثون – فيمن يذكرون – علميْن كبيرين هما:

بيكـونBacon(1561-1662)، و "ديكـارت Descartes(1596-1650)، ويُنـصُّون علـى طريقين في العلم الصرف:الاستدلالي، في الرياضيات، والتجريبي في الطبيعيات، وبلغ الأمر من إعلاء مكانة الطّريقة أن قال "ديكارت":(خير للإنسان أن يعدل عن التماس الحقيقة، من أن يحاول ذلك من غير منهج) »9.

عرف القرن السابع عشر مؤلّفات كثيرة حول المنهج، ما يدل على اهتمام وعناية المفكرين به « فابتداء من سنة 1620:في ذلك التاريخ ظهر كتاب "الأرجانون الجديد"

(لفرنسيس بيكون) ويعني به المنطق الجديد(novum organum) وبعد ذلك بنحو سبع عشرة سنة، نشر ديكارت"المقال في المنهج"، وفي ذلك العصر أيضا نشر"اسبينوزا" رسالته في "إصلاح الذهن"كما أصدر"تشرنهاوس" كتاب "طب العقول"، ونشر فلاسفة "بور رويال" منطقهم المشهور المسمّى"فن التفكير"، ونشر"مالبرانش"كتاب البحث عن الحقيقة، وكتب "ليبينتز"مُصنّفا من عدّة رسائل نجد في عنوان بعضها لفظ المنهج»10. هذه الأفكار مجتمعة أسّست لعلم المنهج (Méthodologie)، لتأخذ كلمة منهج « مفهوما اصطلاحيا محدّدا يعني طائفة من القواعد و القوانين العامّة تسيطر على سير العقل، وتُحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة في موضوعٍ من الموضوعات، أو بعبارة أخرى، تحدّد للعلماء الطّريقة التي يسلكونها في بحثهم وترسم لهم الخطوات العقلية التي يتّبعونها من أجل الوصول إلى الحقيقة العلميّة في موضوع من الموضوعات»11.

وهناك تعريفات كثيرة أخراة للمنهج، يطول بنا المقام لو رحنا نتعرض لها الواحد تلوى الآخر، ولعلّنا نكتفي بما تقدّم ذكره من تعريفات، و نحوصل تلك التعريفات السابقة في تعريف واحد نتبنّاه، وهو التعريف الذي يرى أن المنهج هو« مجموع العمليات العقليّة و الخطوات العمليّة التي يقوم بها الباحث بهدف الكشف عن الحقيقة أو البرهنة عليها بطريقة واضحة و بَدهيّة تجعل المتلقي يستوعب الخطاب دون أن يضطرّ إلى تبنّيه »12.

ب/مفهوم البحث:

قال الله تعالى (فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض) ولعل معناه، الحفر و التنقيب عن الشيء، كما يأتى بمعنى الاجتهاد و بذل الجهد فى موضوع ما، و جمع المسائل التى تتصل به، و منه سميت سورة (برءاه) "بالبُحُوث" لأنها بحثت عن المنافقين و كشفت ما يدور فى قلوبهم.

جاء في قاموس المحيط في مادّة (بَحَثَ)، « استَبْحَثَ واثْبَحَثَ و تَبَحَّثَ:فَتَّشَ »13 والتفتيش عن الشّيء، هو البحث الدّقيق المركز من أجل العثور على الشيء الضائع.

وفي الاصطلاح، البحث Research=Recherche، هو« طلب الحقيقة وتقصّيها و إذاعتها في النّاس »14 وطلب الحقيقة يحتاج إلى وقت وجهد و صبر ودراية، وللبحث العلمي تعاريف كثيرة منها ما ذهب إليه "إبراهيم سلامة"في كون البحث « وسيلة للدّراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حلٍّ لمشكلة محدّدة، وذلك عن طريق التّقصي الشّامل والدّقيق لجميع الشّواهد و الأدلّة التي يمكن التّحقق منها و التي تتصل بمشكلة محدّدة. وقد عرّفت "سهير بدير" البحث العلمي بأنّه البحث المستمر عن المعلومات و السّعي وراء المعرفة باتباع أساليب علميّة مقنّنة، وقد عرّف "فان دالين" البحث العلمي بأنّه المحاولة الدّقيقة النّاقدة للوصول إلى حلول للمشكلات التي تؤرّق الإنسان وتحيّره »15، كما يعرّفه الدكتور "أحمد بدر" بكونه « وسيلة للاستعلام و الاستقصاء المنظم و الدّقيق، الذي يقوم به الباحث، بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتّبع في هذا الفحص والاستعلام الدّقيق خطوات المنهج العلمي»16 فالبحث دائما تتبعه طريقة (منهج) تساعد في الوصول إلى الحقيقة، و الملاحظ من خلال التعريفات السّابقة، أنّ البحث العلمي« يستلزم وجود مشكلة معيّنة تدفع الباحث إلى دراستها دراسة علميّة منظّمة يحاول من خلال هذه الدّراسة اتباع المنهج العلمي لتفسيرها، والوصول إلى حقائق جديدة »17، وبطبيعة الحال أنّ هذه الحقيقة العلميّة الجديدة التي يتوصّل إليها البحث « ليست بالضرورة هي كل الحقيقة، لأنّ الحقيقة نسبيّة، كما أنّ التعميمات التّامة، مسألة لا يدّعي البحث العلمي أنّه قادر على أن يصل إليها، ولا أنّه قادر على إيجاد الحلول النّاجعة لمشكلاتنا اليوميّة»18.

ومن خلال ما تقدم من تعريفات، تظهر لنا حقيقة البحث« بوصفه قرين الحقيقة، ويتحقق الأمر نفسه في البحوث المختلفة و التجارب المتنوّعة. وتجسّد ذلك جليًّا في بواكير الفكر الإنساني... وتكفي الإشارة إلى الحضارات الأولى في العالم، ومنها حضارة العراقيين والمصريين القدماء ومن بعدهم الإغريق و الرّومان »19.

وإذا كان البحث هو طلب الحقيقة وتقصّيها حتّى تذاع بين النّاس، فإنّ ذلك أكيد يستلزم فردا تتوفّر فيه شروط الباحث الحاذق والماهر.

ج/مواصفات الباحث:

إذا أراد الفرد منا أن يكونا باحثا متميّزا، يجب أن تتوفّر فيه مجموعة من الصّفات من شأنها أن تُعطي لبحثه مصداقيّة وتجعله بحثا موثوقا في المعلومات والنتائج التي يتوصّل إليها. وهي صفا كثيرة لن نأتي على ذكرها جميعا، ولعل من أبرز ما يجب أن يتّصف به الباحث، هو:

الاستعداد والإعداد: لأنّ« استعداد الباحث و إعداده، عاملان أساسيان لضمان تقدّم في دراسته، ولا يُغني أحدُ هذين العاملين عن الآخر، فلا يكفي أن يكون الباحث ذو استعداد طيّب، بل و ينبغي أيضا أن يكون مُعدّا إعدادا سليما»20، وبالتالي فالاستعداد ضروريٌّ في خوض غمار بحث ما، لأنّه إذا لم يكن الباحث مستعدّا، فإنّه لا يستطيع حتى أن يبدأ بحثه وإن كان جيّد الإعداد والتكوين. كما أنّ للإعداد، أي تكوين الباحث الجيد أكثر من ضروري، فهو حافز مهم يدفع الباحث نحو غايته.

الصبر و المثابرة:

صفتان مهمّتان للباحث، بل هما صفتان تلازمان الباحث، فلا يمكن أن يتمّ بحث دون صبر و مثابرة، فبهما يتجاوز الصعاب و العقبات التي قد تعترض سير البحث، فبالمثابرة يمكن للباحث التّغلب على الفشل ومعاودة الكرّة عدّة مرات حتى يصل إلى مبتغاه.

الأمانة العلميّة:

على الباحث أيضا أن يتحلّى بالأمانة العلميّة، حتى يضمن سلامة العمل و النتائج وبالتالي يضمن مصداقيّة الجهد الذي يبذله ، وتتجلى هذه الأمانة في ضرورة الإشارة إلى المصادر التي استفاد منها الباحث في بحثه سواء كانت هذه الاستفادة مباشرة أو غير مباشرة، ناسباً كل قول إلى قائله، وكل معلومة إلى صاحبها مهما كانت هذه المعلومة أو المقولة.

الرغبة في البحث:

أي على الباحث أن يكون راغبا في موضوع بحثه، وذلك شرط مهم للنجاح« فإذا فُرض عليك البحث فرضا، ضقت ذرعا وكنت كالمضطهد ولا يُمكن في هذا المجال أن ينجلِي ليلُك عن نهار، أمّا إذا كنت راغبا في أن تبحَثَ، أنِستَ بعملِك، ولازمتك خلاله نشوةٌ فبذلتَ بذلك جُهدا واستهنت بالوقت»21 فتأتي النتائج طيّبةً محمودة. وقد يشعر الطّالب الباحث أنّه غير راغب في البحث متوهّما، مُؤثِراً الرّاحة، لكنه ما إن بدأ وسار قليلا يستشعر متعة البحث ولذّته، فيسير ما شاء اللّه له في بحثه22.

الصبر:

معلوم أنّ طريق النجاح محفوفة دائما بالصّعاب و المطبّات، وبالتالي لا تكفي الرغبة وحدها في قطع هذا الطريق« فما أكثر الرّاغبين الذين ينكصون منذ البدء، فقد تكون الرّغبة الظاهرة، نزوة عابرة يجهل صاحبُها كُنْهَهَا، ومن هنا وجب أن يصحب الرّغبة الصبر على المكاره و الصمود إزّاء المعوقات و المثبطات و المثابرة وبذل الوقت دون تأفّف أو تذمّر في الجمع و المناقشة والتأمّل»23.

التّتبع:

أو متابعة البحث بالتنقيب على كل ما يُكتب من كتب له صلة بموضوعه، أوحتى في صميم موضوعه و لا يتأتّى ذلك إلاّ بالارتياح« للإقامة في دور الكتب مراجعا هذا الكتاب و متصفّحا ذاك و مقتبسا ملاحظة من ذلك، لأنّ البحث لا يعتمد عددا محدودا من مشهور المصادر، وإنّما لابد من الرجوع إلى كتب أخرى تبدو أقلّ أهمّية، ولكنّك قد تجد في زواياها ما يمكن أن يجلو غامضا أو يفتح بابا، أو أن يسدّ طريقا على آخرين قلّأ»24

قوّة الذاكرة:

على الباحث أن يتّصف بقوّة الذاكرة، فالقراءة الكثيرة تبقى أساس المادّة في الحافظة« والحافظة هذه لا تُجدي كثيرا إذا لم يتذكّر الباحث مادّتها في الوقت المناسب ليستشهد بها ويستعرضها ويعود إليها»25. ويقدّم الدكتور "علي جواد الطّاهر" كثيرا من الصّفات التي لا نشكّ في أنّها مهمّة للباحث، ويجب عليه أن يتّصف بها، لأنّ في ذلك خير له ولبحثه، ونوجزها – لضيق المجال – فيما يلي:

الشك والتثبت: والشك من إيجابيات البحث العلمي وقديما قيل« سوء الظن من حسن الفطن»، والشّك المقصود هنا هو الشك العلمي الذي هدفه الوصول إلى الحقيقة.

الإنصاف والموضوعيّة: وهو شرط ضروريّ في الباحث، فعلى الباحث التّجرد من الأنانيّة و الهوى، فلا تكن مع موضوعك بعصبية أو عليه فالبحث لا يقوم على العاطفة.

الأمانة و الضمير: أي أن يتّصف الباحث بالأمانة والصّدق و الدّقة في نقل آراء غيره، فلا ينسبُها لنفسه، ولا يُغير فيها شيئا ويضيف الدكتور "علي جواد الطاهر" إلى ذلك كله (العقلية التنظيمية البنائية، الدربة والاستمرار، الموهبة)26.

ولعل تلك العناصر التي سبق ذكرها، هي من أهم الصفات التي يجب على الباحث أن يتّصف بها،

« ومتى توفّر للباحث قدراته الأولية و استعداده الفطري للبحث وتحلّى بأخلاق الباحثين»27 أمكن أن نصفه بالباحث الجاد والمتميز.

د/أنواع مناهج البحث:

تتعدّد المناهج وتختلف بحسب اختلاف العلم الذي تدرسه، لكنّها تتفق في الأخير في كونها تتوحّد في فكرة البحث وطريقته بين مختلف أنواع العلوم، ولعل من أكثر أنواع المناهج ذيوعا نجد: المنهج التجريبي، الوصفي، الاستدلالي، الأدبي والذي يندرج تحته(المنهج التاريخي، النفسي، الاجتماعي، الجمالي) وغيرها من المناهج، ولعله من المفيد هنا أن نقدّم ولو لمحة وجيزة مقتضبة عن كل منهج.

المنهج التجريبي:

وهو منهجٌ أكثر التياطا بالعلوم الدّقيقة، والمقصود بالعلوم الدّقيقة العلوم التي تخضع للملاحظة و التجربة، وبالتالي فهو من أكثر المناهج دقّة وتعقيداً، لذا فإنّ« مهمّة الباحث التجريبي تتعدّى الوصف أو تحديد حالة و لا يقتصر نشاطه على ملاحظة ما هو موجود و وصفه، بل يقوم بمعالجة عوامل بحثه تحت شروط مضبوطة ضبطا دقيقا »28حتى يتمكّن من الوصول إلى النتائج الدّقيقة، وذلك بعد تحديد الأسباب والدّوافع ومعرفة ما يحيط بالظّاهرة التي يدرسها، من هنا أمكننا القول أن « المنهج التجريبي بمعنى عام هو المنهج المستخدم حين نبدأ من وقائع خارجة عن العقل سواء أكانت خارجة عن النّفس إطلاقا أم باطنه فيها، كذلك كما في حالة الاستبطان لكي نصف هذه الظواهر الخارجة عن العقل ونفسّرها »29. وللمنهج التجريبي تعريفات كثيرة، منها أنّ المنهج التجريبي يقوم « على أساس اختيار مدى أثر عامل أو متغيّر تجريبي معيّن يُرادُ قياسُه عن طريق التجربة العمليّة على المستوى الجزئي المحدود لمعرفة أثره، قبل تعميم استخدامه بالشكل الذي اختُبِرَ به على المجتمع بكامله»30، ويرى آخر أنّ المنهج التجريبي« هو ذلك النّوع من البحوث الذي يستخدم التجربة في اختيار فرض يُقرّر العلاقة بين عاملين أو متغيّرين وذلك عن طريق الدراسة للمواقف المتقابلة التي ضبطت كل المتغيّرات ما عدا المتغيّر الذي يهتمّ الباحث بدراسة تأثيره »31.

فالمنهج التجريبي يعتمد على التجربة لملاحظة المتغيرات التي تطرأ على بعض العوامل و المقارنة بينها، وبطبيعة الحال هناك خطوات يلتزم بها الباحث في

أثناء بحثه. كما أنّ هناك مجموعة من الصفات – زيادة على تلك التي تقدّم ذكرها - يجب على الباحث التجريبي أن يتحلّى بها، والمجال لا يتّسع لذكرها هنا.

المنهج الاستدلالي:

يُعرّف "عبد الرحمان بدوي" الاستدلال بكونه « البرهان الذي يبدأ من قضايا يُسلّمُ بها، ويسير إلى قضايا أخرى تَنتُجُ عنها بالضرورة، دون التجاء إلى التجربة، وهذا السّير إمّا بواسطة القول، أو بواسطة الحساب»32. أي أنّ الاستدلال منطقي لكنه لا يعتمد بالضرورة على التجريب، وهو ليس حكرا على القضايا العلميّة البحتة فقط، فكما يكون فيها، يكون في غيرها

« فالرياضي الذي يُجري عمليات حسابية، دون إجراء تجارب يقوم بعمليّة استدلال،. . . و القاضي الذي يستدل اعتمادا على ما لديه من وثائق، والمضارب الذي يستدل وفقا للمعروض و المطلوب من الأوراق المالية يقوم كلاهما بنفس العمليّة التي يقوم بها الرّياضي وهو يحسب، أو يستنتج نظريات هندسيّة »33. فكلهم يستدل للوصول إلى النتائج.

ويجب أن نفرق هنا بين الاستدلال كعمليّة منطقيّة و الاستدلال كسلوك للوصول إلى الحقيقة

« فالاستدلال كعمليّة منطقيّة أوّلية هو كل برهان دقيق مثل القياس أو الحساب. . إلخ، أمّا الاستدلال كمنهج فهو السّلوك العام المستخدم في العلوم، والرياضة منها خصوصا، وهو عبارة عن التسلسل المنطقي المنتقل من مبادئ أو قضايا أوّلية إلى قضايا أخرى تُستخلص منها بالضرورة، دون التجاء إلى التجربة وذلك في مقابل المنهج الاستقرائي أو التجريبي القائم على الملاحظة و التجربة »34، ونشير هنا أيضا إلى أنّ هناك مجموعة من الخصائص التي تميّز الباحث الاستدلالي، يجب أن يراعيها أثناء بحثه، على اعتبار أن هذا المنهج يقوم« على ميكانيزم يتسلسل من قضايا ومبادئ، يُستنتج منها قضايا ومبادئ أولية بالنسبة إلى النتائج الأخرى وهكذا إلى النهاية »35.

المنهج الوصفي:

يُعدّ المنهج الوصفي من أكثر المناهج توظيفا في عمليّة البحث العلمي« و المتتبّع لتطوّر العلوم يستطيع أن يلمس الأهمّية التي احتلّها المنهج الوصفي، ويرجع ذلك إلى ملاءمته لدراسة الظواهر الاجتماعيّة، لأنّ هذا المنهج يصف الظواهر وصفا موضوعيّا من خلال البيانات التي يتحصّل عليها باستخدام أدوات وتقنيات البحث العلمي

»36 ومنهج البحث الوصفي« لا يقف عند حدود وصف الظاهرة وإنّما يذهب إلى أبعد من ذلك، فيحلل ويُفسّر ويُقارن ويُقيّم، بقصد الوصول إلى تقييمات ذات معنى بقصد التبصّر بتلك الظاهرة، فضلا على أنّ الأبحاث الوصفيّة لا تقتصر على التّنبؤ بالمستقبل بل إنّها تنفذ من الحاضر إلى الماضي لكي تزداد تبصرا بالحاضر»37، ويعتبر المنهج الوصفي من المناهج« التي يكثر استعمالها في مجال بحوث التربية البدنيّة والرياضية، وبهذا المجال يذكر"سكيتس" Scates، في معرض حديثه عن الدّراسات الوصفية، ما يشمل جميع الدّراسات التي تهتمّ بجمع وتلخيص الحقائق الحاضرة المرتبطة بطبيعة و بوضع جماعة من الناس، أو عدد من الأشياء، أو مجموعة من الظروف، أو فصيلة من الأحداث أو نظام فكريّ »38. وكغيره من المناهج، يجب على الباحث الذي يستخدم المنهج الوصفي أن يلتزم بعدة خطوات نختصرها فيما يلي:تحديد المشكلة و إبراز أهمّيتها تحديد هدف البحث، حدود البحث، الدّراسات السابقة و تصنيفها، تلخيصها الاستنتاجات، منهج البحث مجتمع البحث، العيّنة، أداة البحث، الوسائل الإحصائيّة، عرض نتائج البحث ومناقشتها، التوصيات و المقترحات، مصادر البحث. .

المجال إذا، لا يتّسع لتناول كل مناهج البحث العلمي، فقد تطوّرت« تطورا كبيرا نتيجة لتطوّر أنواع المناهج واستعمالاتها المتزايدة، وبتزايد حركة البحث العلمي وتنوع مجالاته ازدادت أهمّية هذا العلم. . . بل إنّنا نجد العلم الواحد يستعين بمناهج مختلفة، بحسب ما يقتضيه موضوع البحث»39.

وما يجب أن نؤكّد عليه في الأخير، أنّ البحث العلمي الذي يقوم على منهج دقيق ومضبوط، هو الطريق الوحيد والأمثل لمواكبة العصر في جميع الميادين، تقوم على تسييره وترقيته مراكز ومجالس للبحوث العلمية والاقتصادية والصناعيّة و الزراعية و الصّحية. . . إلخ حيث تكون الجامعة هي النبع الذي يرفد جميع هذه المراكز والمجالس، ومما لاشك فيه أنّ من أهم مقومات البحث العلمي الممنهج، هو توفر حرّية أكاديمية مسؤولة عن مقاربة مشكلات المجتمع، كما يحتاج البحث العلمي للدعم المادي والمعنوي، والمتطلّبات الضرورية من التقنيات الحديثة و المختبرات والمراكز العلمية الملائمة، والخدمات الإدارية المساندة، فبهذه الشّروط تمكنت البحوث العلمية في جامعات الغرب من إدخال تغييرات جذرية على برامجها التعليمية، ونظمها الإدارية و الاقتصادية والاجتماعية.

الهوامش:

1) يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع - 1979 – دط/ص17 .
2) علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، مطبعة العاني، بغداد 1970، دط/13
[3] السابق، ص17 .
[4] العربي أسليمان، إشكالية المنهج في اللسانيات الحديثة، مجلة علامات، ج59، مج15، مارس2006ص17، نقلا عن فخري ماجد، أرسطو المعلم الأول ص146/145 .
[5] يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص19 .
[6] نفسه : ص21 .
[7] يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص21 نقلا عن المنطق الحديث ومناهج البحث، ص20
[8] نفسه: ص22 .
[9] علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ص .
10) عثمان أمين، ديكارت، ط4/القاهرة1957، ص57.
11) يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص17 .
12) العربي أسليمان، إشكالية المنهج في اللسانيات الحديثة، مجلة علامات، ص17 .
13) مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار المعرفة، بيروت، ط2009/4، ص80 .
14) علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ص21 .
15) فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، مطبعة الإشعاع الفنيّة، ط2002/1ص25 .[15]
16) أحمد بدر، أصول البحث العلمي و مناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت1973ص18 .6[1]
17) السّابق : ص25، 26 .
18) حسن شحاتة، البحوث العلمية و التربويّة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدّار العربية، ط2001/1، ص13 .
19) منصور نعمان، غسان ذيب النمري، البحث العلمي حرفة وفن، دار الكندي للنشر و التوزيع، الأردن، ط1998/1، ص17 .
20) محمد الصاوي، البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، المكتبة الأكاديمية القاهرة، ط1992/1، ص11. 20
21) علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ص35.
22) ينظر نفسه:ص36 .
23) ينظر نفسه:ص36 .
24) علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ص36.
25) ينظر نفسه : ص36 .
26) ينظر نفسه : ص39 .
27) فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، مطبعة الإشعاع الفنيّة، ط2002/1ص28 .
28) رحيم يونس كرو العزاوي، مقدّمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، عمان، ط2008/1، ص109 .

29) عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3/1977ص128 .
30) عبد الغني سعود، محسن أحمد الخضيري، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير و الدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1991، ص109 .
31) رحيم يونس كرو العزاوي، مقدّمة في منهج البحث العلمي، ص109
32) عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث، 7ص82
33) رحيم يونس كرو العزاوي، مقدّمة في منهج البحث العلمي، ص109. 82 .
34) السابق :ص82 .
35) ماثيو جيدير، تر/ملكة أبيض، منهجية البحث، دت، دط، ص80/79 .
36) نفسه : ص100 .
37) رحيم يونس كرو العزاوي، مقدّمة في منهج البحث العلمي، ص97 .
38) مروان عبد المجيد إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مؤسسة الوراق، ط1/2000ص125 .
39) ماثيو جيدير، تر/ملكة أبيض، منهجية